مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (8) العدد (5) 2024
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies - engineering Sciences Series Vol. (8) No. (5) 2024

الريف الجبلي في اللاذقيّة: "مفارقة اجتماعية – مكانية"

قراءة في تحول المشهد الاجتماعي القروي (De-peasantization)

د.م.فداء فائز زينه*

(تاريخ الإيداع 2024/4/21 . قُبِل للنشر في 2024/5/30)

□ ملخّص□

يركز البحث على دراسة قرى اللاذقية الجبلية التي كانت منذ الستينيات مسرحاً لحركة هجرة مكثفة ناتجة عن فقر الأراضي الزراعية وبالتالي استحالة استغلالها لتلبية الاحتياجات الحيوية لسكان هذه القرى, وللهجرة العكسية التي تلت الستينات من مناطق الاستقبال للعودة إلى قريتهم الأصلية. يلخص البحث أسباب هذه العودة بإلتزام المهاجرين الخاص جدًا على المستويين الاجتماعي والعائلي تجاه قراهم الأصلية. خصوصاً بعد أن شهدت هذه القرى تطوراً كبيراً خاصة فيما يتعلق بوسائل النقل، مما أدى إلى تحسن كبير في الظروف المعيشية، مثل المياه والكهرباء والهاتف وغيرها.

يناقش البحث أثر عودة المهاجرين على التحول الحضري في القرى الريفية على مستوى المنزل والقرية.

الكلمات المفتاحية: الحضريون الجدد "néo-urbains"– المورفولوجيا الاجتماعية – قرى شوارع– التحولات المعمارية و العمرانية.

*مدرس – قسم تخطيط المدن والبيئة – كلية الهندسة المعمارية – جامعة تشرين – سوريا.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة العلوم الهندسية المجلد (8) العدد (5) 2024
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies - engineering Sciences Series Vol. (8) No. (5) 2024

Mountain villages in Latakia: "A socio-spatial paradox" A reading into the transformation of the rural social scene (De-peasantization)

Dr. Fidaa Faez Zayna *

(Received 21/4/2024 . Accepted 30/5/2024)

□ ABSTRACT □

The research focuses on studying the mountainous villages of Latakia, which since the sixties have been the scene of an intense migration movement resulting from the poverty of agricultural lands and thus the impossibility of exploiting them to meet the vital needs of the residents of these villages, and the reverse migration that followed the sixties from the reception areas to return to their original village. The research summarizes the reasons for this return with the migrants' very special commitment at the social and familial levels to their villages of origin. Especially after these villages witnessed great development, especially with regard to means of transportation, this led to a significant improvement in living conditions, such as water, electricity, telephone, etc.

The research discusses the impact of returning migrants on urban transformation in rural villages at the household and village levels.

Keywords: New urbanists - Social morphology - Street villages - Architectural and urban transformation.

* Professor -Department of Urban Planning and Environment - Faculty of Architecture - Tishreen University - Syria.

١. مقدمة:

في مقاله "التحضر المعاصر في شمال سوريا" دعا البروفسور مارك لاڤيرن في الفقرة المتعلقة بمدينة اللاذقية: "مزايا زائدة عن الحاجة؟ ". بعد سرده جميع المزايا المتاحة للمدينة: "اللاذقية هي ميناء ومدينة صناعية في وسط أغنى منطقة زراعية في البلاد، تحيط بها الشواطئ المشمسة، متميزة في البنية التحتية والمرافق الحضرية"، وهنا طرح مارك لاڤيرن التناقض ما بين تطور المدينة و سرعة تحول ريفها على كافة الأصعدة[1].

لعل المفارقة الاجتماعية–المكانية هنا نجدها بالسياسات المكانية المتبعة في موضوع دمج القرى بالمدن, الأمر الذي أنتج اندماج مكاني وبالمقابل خلف تناقض اجتماعي ظهرت أثاره بشكل واضح في الريف الجبلي ذو الخصوصية الاجتماعية, مما غير من مورفولوجية الريف (أشكال تنظيم المجتمع الريفي) وجعله تابعاً للخلايا الوظيفية المتمثلة بالمدن الرئيسية القريبة منه (اللاذقية وجبلة) والبعيدة عنه (دمشق). بالتالي فإن الصفة الاقتصادية المستقلة للريف لم تعد موجودة وهذا ما تنبهت له الدول المتقدمة كفرنسا, بعد الثورة الصناعية ودخول العولمة وتركيزها على موضوع إعادة هيكلة الحدود المورفولوجية بين الريف والمدينة[2].

إن أحد الجوانب التي يمكن إثارتها بوضوح ضمن هذه المفارقة في ريف اللاذقية هي مسألة انقطاع العلاقات الذي تم ملاحظته بين الأجيال: في التسعينات من القرن الماضي، لم يكن بادياً وجود أي انقسام بين الأجيال. و لكن هذا الإنقسام بدأ بالتفاقم وخصوصاً مع الإنفتاح الإقتصادي الذي شهدته الدولة بعد عام 2010 وخصوصاً في المنطقة الساحلية الذي خلّف بدوره تحولاً مكانيّاً عميقاً في الجبال الساحلية. فبالنسبة للبالغين من الجيل الجديد، المتعلمين منهم ،المولودين أو المقيمين في المدينة والذين يحتفظون بصلات تربطهم بقراهم التي ينحدرون منها، لم تعد هذه القرى تشكل بالنسبة لهم سوى مكاناً للإقامة أو للاصطياف ولم تعد تشكل مكاناً للعمل أو مكاناً محدداً للهوية. حتى أنه تم التخلي عن القرية من قبل الكثير ممن يأملون بالاستثمار في المدينة وببناء هوية متمدنة[3].

بالنسبة لـ روجيه برونيه "الاندماج المكاني يقاس بدرجة العلاقات بين الفراغات الجزئية أو بوجود وسيط كالمركز". فإذا ما حاولنا قياس درجة الاندماج المكاني الذي حصل بين الريف والمدينة في اللاذقية نجد أنفسنا أمام تساؤل حول ماهية الحدود المكانية–الاجتماعية لهذين الطرفين؟ هل لا زالت موجودة؟ أم أنه يمكننا القول بأن الريف في هذه المدينة لم يعد موجوداً؟[4].

٢. أهمية البحث:

يناقش البحث أثر عودة المهاجرين على تطور قراهم عبر إحداثهم تغيرات اجتماعية ومكانية، مترافقة مع تحولات ديموغرافية كبيرة. ويجيب البحث على مجموعة من التساؤلات أهمها:

– إلى أي مدى يؤثر تحول الحياة الاجتماعية في قرى اللاذقية الجبلية على التكوين المعماري والتخطيطي الحضري لهذه القرى؟

– هل لا تزال هذه القرى مناطق ريفية أم مناطق بعيدة شبه حضرية؟

– كيف يطبق السكان نمط حياتهم الحضري على قراهم الريفية؟

٣. هدف البحث:

- تسليط الضوء على التحولات المعمارية و العمرانية في ضوء التغيرات الاجتماعية التي طرأت على تركيبة الأسر المكونة للقرى.
- دراسة انعكاس التغيرات المورفولوجية في تركيبة المجتمع القروي على تصميم المنزل الحالي واختيار موقعه من قبل ساكنيه ضمن القرية الأم.

٤. منهجية البحث (فلسفة المعرفة Epistemology):

تشبه الطرق المستخدمة للوصول إلى القرى تلك المستخدمة في علم الأعراق: وقد تم فرض هذه الطرق عالمياً, حيث أنه فيما يتعلق بموضوع البحث لا توجد عمليًا بيانات إحصائية أو تقارير إدارية موثوقة قابلة للاستخدام والوصول إليها في الزمن الحقيقي. لذلك، تم إعطاء الأولوية للمعلومات التي تم جمعها في الميدان، والملاحظة المباشرة والشهادة الشفهية للسكان [5].

٥. النتائج والمناقشة:

يشير مصطلح "الحضريون الجدد Néo-Urbains" إلى القرويين الذين أقاموا لمدة 5 سنوات على الأقل في بيئة حضرية (INRA). ولكن لايمكن تعميم هذا التعريف مع حالة سكان الحضر الجدد الذين ندرسهم لأنه من ناحية لم يذكر الباحثون ما إذا كان هؤلاء القرويون المقيمون في بيئة حضرية قد عادوا إلى قراهم أم لا، ومن ناحية أخرى لم يناقشوا أسباب عودة هؤلاء المهاجرين إلى قراهم حسب السياق ولم يحددوها في التعريف[6].

في بحثنا هذا, يشير مصطلح "القرويون الجدد" بشكل خاص إلى القرويين الذين تركوا قراهم بإتجاه المدن بعد وصول حزب البعث إلى السلطة في ستينيات القرن الماضي، والذين قضوا في المدينة فترة تصل إلى 5 سنوات على الأقل، ومن ثم عادوا إلى قراهم ليستقروا فيها بشكل دائم لأسباب عائلية في المقام الأول، ولأسباب دينية أو سياسية أو حتى اقتصادية. يمكننا أيضًا أن نطلق عليهم مسمى "المهاجرون العائدون" [8,7].

وبالتالي فإن تحول المشهد الاجتماعي تجلى بشكل واضح في أنماط الحياة الجديدة التي جلبها معهم هؤلاء المهاجرون العائدون. الأمر الذي نجم عنه تحولات طرأت على التكوين المورفولوجي لقرى ريف اللاذقية الجبلي، بشكل خاص, على عدة مستويات: من ناحية على المستوى المعماري والتخطيط الحضري، ومن ناحية أخرى على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

5-1: التحولات المتعلقة بعودة المهاجرين على مستوى البيت الريفي:

وجدنا من خلال دراسة الأمثلة التفصيلية القديمة والحديثة أن النموذج "المحدد" الذي كان يميز البيت الجبلي القديم قد تم استبداله بأنواع مختلفة من النماذج المعمارية التي أصبحت تتعايش جميعها داخل نفس القرية, ويعكس كل منها الصورة أو"النمط الحضري" الذي عاشه المهاجر في المدينة التي كان يعمل فيها. وهذا ما يفسر التنوع الكبير في مواد البناء والتغطية للمسكن الحالي، فضلاً عن التعقيد

الوظيفي للمساحات الداخلية للمسكن المذكور الذي يشبه مساكن المدينة. وهذا يسلط الضوء على اختفاء عناصر اللقاء الاجتماعي أثناء بناء المساكن الحالية في القرى المدروسة.

يعتمد اختيار الحالات الدراسية (المنازل والقرى) في البحث، على تنوع أماكن هجرة الأشخاص الذين عادوا إلى قراهم الأصلية بعد سنوات عديدة قضوها في هذه الأماكن (في دمشق أولبنان أومراكز المدن). وعليه تطرقت التحقيقات الميدانية إلى دراسة نماذج بيوت يسكنها أشخاص عائدون من دمشق، وبيوت يسكنها أشخاص عائدون من لبنان، وأخرى يسكنها أشخاص يتنقلون يومياً بين قراهم ومراكز المدن سواء في اللاذقية أوجبلة [9].

- **<u>الحالة الدراسية الأولى: منزل أبو ميلاد (قرية دباش):</u>**

كماهو مبين في الشكل(1) يتكون المنزل المدروس–المبني عام 1930 بالتراب والحجر الخام، وسماكة جدرانه حوالي 80 سم– من ثلاثة أجزاء: اثنان منها مخصصان للأنشطة اليومية (الأكل والنوم والطبخ) والثالث يستخدم كإسطبل (حظيرة)، مع شرفة واسعة مبنية من الحجر الطبيعي أمام المنزل، بالإضافة إلى درج حجري يؤدي إلى سطح الإسطبل الذي بدوره يؤمن عملية الترميم من وقت لآخر. من أجل الحفاظ على منزله الذي ورثه عن والده وجده، قام صاحب المنزل ببناء مبنى حديث قريب منه ومكون من طابقين في الجهة المقابلة لمنزله القديم، يضم كل طابق شقتين لأبنائه الأربعة. ولا يزال يعيش هناك حتى اليوم دون أن يغير أي شيء منذ عام 1930. كما هو مبين في المخطط الموضح في الشكل(2):

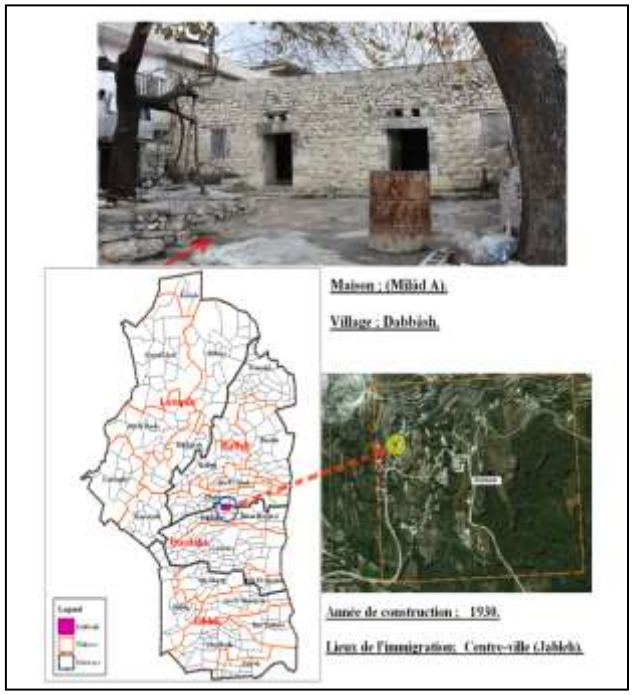

الشكل (1): نموذج البيت الريفي – قرية دباش (إعداد الباحث)

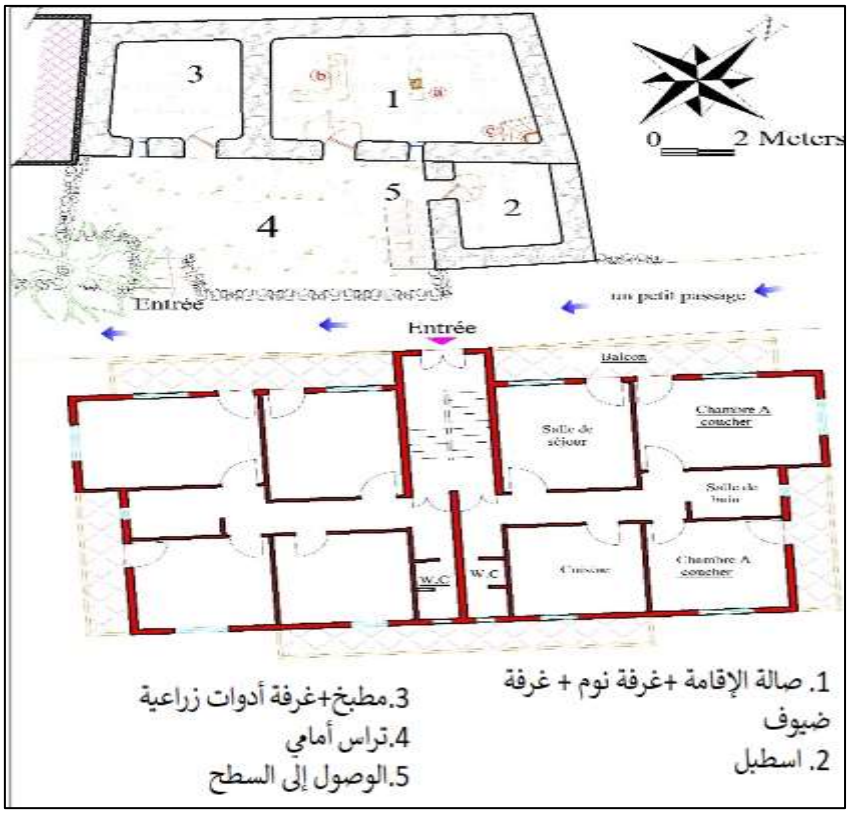

الشكل (2): مخطط يبين التوسع الذي طرأ على المنزل الريفي المدروس–قرية دباش (إعداد الباحث)

- **<u>الحالة الدراسية الثانية: منزل في قرية بشلاما (القرداحة):</u>**

خلال الزيارات الميدانية إلى قرية بشلاما و القرى المحيطة بها وجدنا أن التغيرات والتحولات المعمارية طالت أكثر من 90% من منازل القرية بشكل خاص، وقرى منطقة القرداحة الأخرى ومحيطها بشكل عام. وبالتالي يمكن تعميم نموذج البيت المبين في الشكل(3) و المخططات التالية له المبينة في الشكل (4) على غالبية منازل ريف القرداحة المدروس.

يمكن تقسيم التعديلات المعمارية التي خضع لها أحد منازل القرية تبعاً للمراحل التاريخية التالية:

A. **المرحلة الأولى المنزل (A):**

كانت في أربعينيات القرن الماضي، تكون المنزل /A/ – المبني من حجر خام غير مقطع وملصق بالطين–من جزأين رئيسيين: الأول هو الذي تتم فيه جميع الأنشطة اليومية من أكل ونوم و طبخ..إلخ. والثاني هو الإسطبل (الحظيرة) المخصص لتربية الحيوانات الأليفة في المنزل المدروس. كما بينت الدراسة الدور الرئيسي الذي لعبته الشرفة في تلت المرحلة حيث كانت تشكل مسرحاً تجري فيه العديد من الأنشطة اليومية، وخاصة الترحيب بالضيوف وتعريض الحبوب لأشعة الشمس.

- **المرحلة الثانية المنزل (B):**

ظهرت في فترة التسعينيات مع توفر مواد البناء من خرسانة وحديد وغيرها حيث تم إضافة غرفة /B/ بمساحة (4x6) متر مربع للمنزل /A/. تم بناء هذه الغرفة من الحجر الطبيعي المقطوع بسماكة 35 إلى 40 سم وطول 40 سم. و قد تم استخدام الاسمنت هنا لربط الحجارة مع بعضها. كما تم استخدام البيتون في صب السقف النهائي الممتد على طول مساحة الغرف. التغير الأساسي المميز لهذه المرحلة هو أنه تم نقل جميع الأنشطة اليومية باستثناء المطبخ، إلى هذه الغرفة /B/. وأصبح المنزل /A/ في هذه المرحلة مكوناً من جزأين: الأول عبارة عن مطبخ والثاني عبارة عن حظيرة.

- **المرحلة الثالثة المنزل (C):**

بين عامي (2006-2007) قام أحد أبناء العائلة الذي يعمل في المجال العسكري فور وصوله إلى قريته، بعد سنوات طويلة قضاها في دمشق، بهدم المنزل /A/ و بنى على أنقاضه منزلاً آخر /C/ بشكل فيلا مكونة من طابقين بمساحة 250 متراً مربعاً، مبنية على الطراز اللبناني – لأن الشخص الذي قام ببناء هذا المنزل كان يعمل في بناء البيوت في لبنان– وتتميز بشكل أساسي بالأروقة الأمامية البارزة، مع الحفاظ على المنزل /B/ لوالديه. وفور وفاة الأبوين قام بتحويل المنزل إلى مستودع – وألغى حيز تربية الحيوانات– وأنشأ مواقف لسياراته بعد ردمه جزءاً كبيراً من الأرض. ونلاحظ في هذه المرحلة أنه تم إهمال دور الشرفة الموجودة من خلال التعديل الكامل لمدخل المنزل كما يوضح المخطط المبين في الشكل (4).

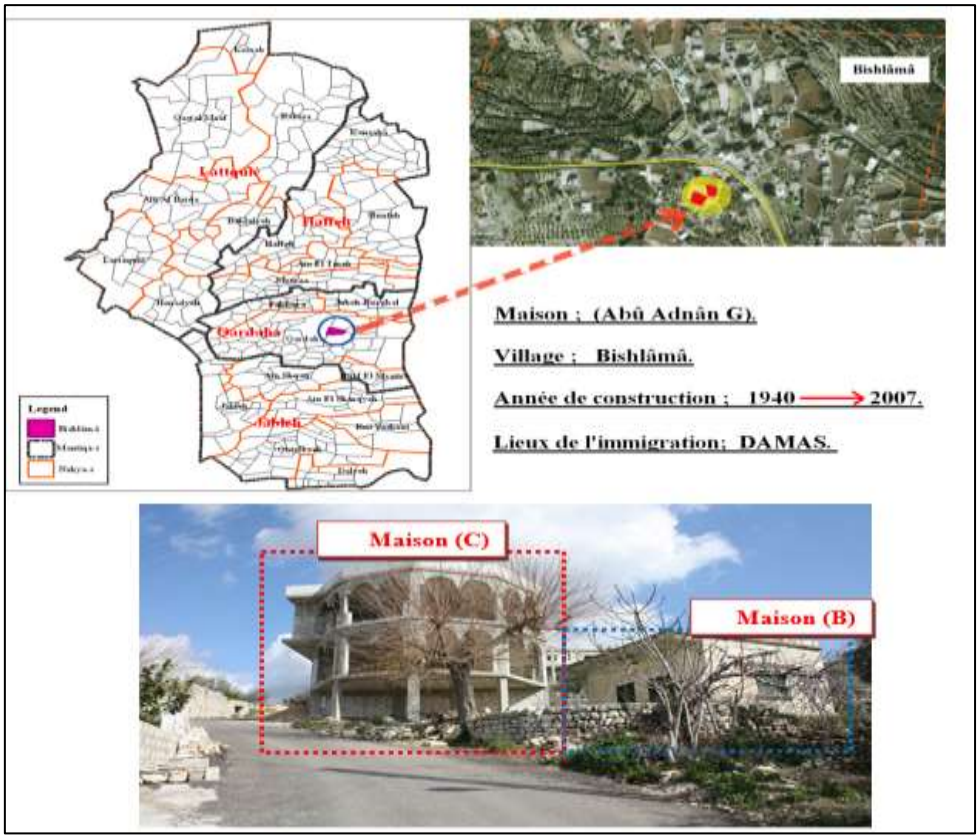

الشكل (3) بيت ريفي – قرية بشلاما (إعداد الباحث)

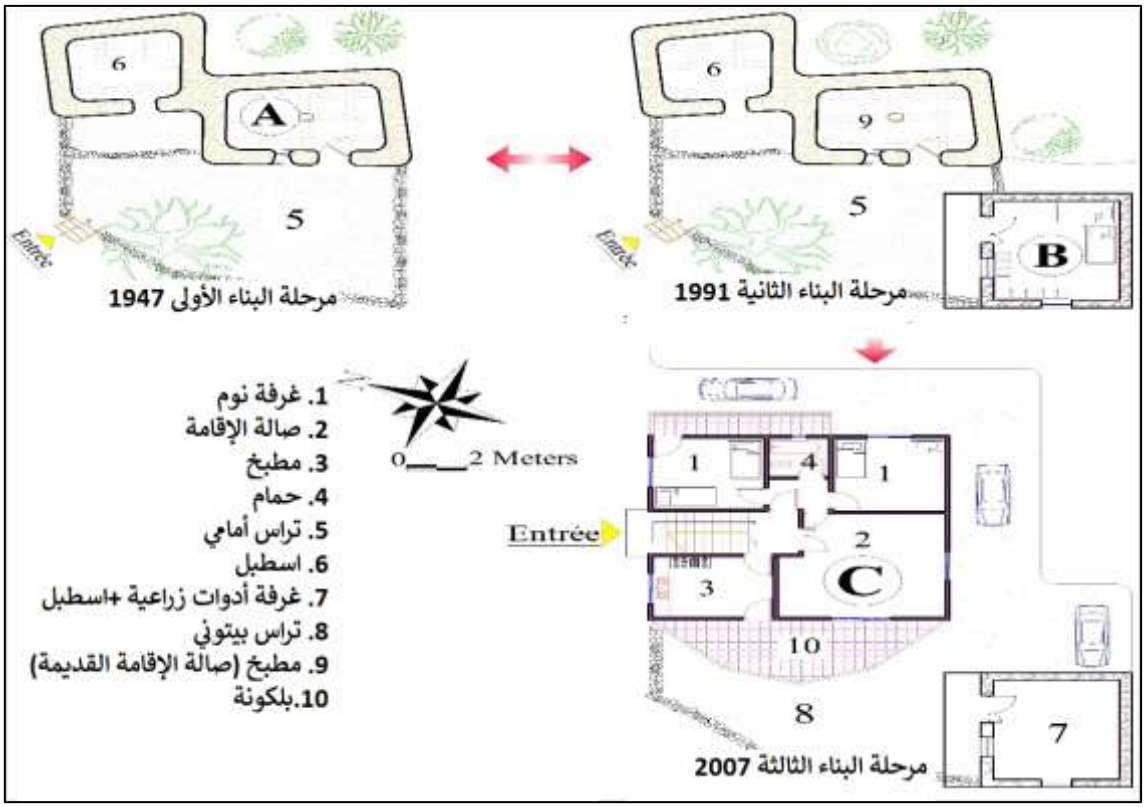

الشكل (4): مخطط يبين التوسع الذي طرأ على المنزل الريفي المدروس–قرية بشلاما

(إعداد الباحث)

- **<u>الحالة الدراسية الثالثة: منزل أبو هادي (قرية نينه):</u>**

بُني هذا المنزل على أنقاض منزل قديم من الحجر والتراب كان يعيش فيه والدا أبو هادي مع زوجته وأولاده، قبل سفر أبو هادي إلى لبنان للعمل بالزراعة في فيلا في بيروت.

بعد عودته من لبنان، وبعد وفاة والديه، قام أبو هادي مباشرة بهدم المنزل القديم وأقام مكانه منزلاً آخراً أحدث وأكبر، يلبي –حسب قوله– متطلبات طبيعة عائلته المكونة من ستة أفراد غالبيتهم من الفتيات.

كما هو مبين في الشكل(5), لم يهدم أبو هادي البيت القديم بأكمله، بل احتفظ بالغرفة الكبيرة بهدف ضمها إلى منزله الجديد وجعلها جزءاً لا يتجزأ منه, ففي هذه الغرفة قضى عمره كله ويشعر وزوجته بالطمأنينة داخل أسوارها.

رغم سفره للعمل والإقامة في لبنان لفترة طويلة من حياته بقي أبو هادي متمسكاً بالحفاظ على غرفته ولتحقيق هدفه في ضمها لمنزل يناسب طبيعة عائلته، استشار أبو هادي مهندسًا معماريًا. وبالنتيجة بنى منزلاً مكوناً من طابقين، يحتوي كل منهما على ثلاث غرف نوم للحفاظ على خصوصية الفتيات الصغيرات، بالإضافة إلى مطبخ وغرفة معيشة كبيرة مفروشة بشكل فاخر بأثاث حديث أحضره معه من لبنان, وبالفعل تم ضم غرفة النوم الحجرية إلى المنزل الجديد ومنحها استقلالية معينة بمدخل خاص منفصل عن المدخل الرئيسي للمنزل كما يوضح المخطط في الشكل(6).

يقضي أبو هادي بصحبة زوجته معظم وقته في هذه الغرفة و يقوم فيها بكافة أنشطته اليومية (الأكل والنوم واستقبال الضيوف)، وبقي–بحسب تصريحاته– غير قادرٍ على التكيف مع المنزل الجديد. حيث أنه لم يشعر فيه

بالراحة أو الإنتماء رغم حداثته وحداثة أثاثه. و بقي يشغل مع زوجته الغرفة المتبقية من بيته القديم، بينما يشغل أولاده البيت الجديد، وكل هذا في بيت واحد يتكون من جزأين، القديم والجديد.

الشكل (5) منزل ريفي– قرية نينة (إعداد الباحث)

الشكل (6): مخطط يبين التوسع الذي طرأ على المنزل الريفي المدروس–قرية نينه(إعداد الباحث)

2-5: التحولات المتعلقة بعودة المهاجرين على مستوى القرية:

شهدت القرى تغيراتٍ كبيرة على جميع المستويات من حيث تكوين القرية مانتج عنه شكلاً مختلفاً تمامًا عما كانت عليه في الماضي. يمكن تصنيف هذا التغيير إلى:

- **التغيير من حيث التكوين الاجتماعي –العمراني للقرية:**

تغير الأساس الذي كانت تعتمد عليه القرى في نشأتها حيث لم تعد الأسرة هي أساسها, بل تحولت القرى إلى قرى شوارع (*villages-rues*) حيث قام السكان الحاليون ببناء منازلهم على طول الشوارع الرئيسية على اعتبارها نقاط جذب، وبالتالي حلت الشوارع – كمرجعية مكانية– محل منزل الأسرة والوالدين.

- **التغيير من حيث "الوضع الاقتصادي الحالي":**

ابتعد السكان بشكل شبه كامل عن النشاط الزراعي. وخاصة الشباب, ترك جيل الشباب عموماً الزراعة ولجؤوا إلى القروض الاستثمارية من أجل تنفيذ مشاريع صغيرة ترضيهم وتلبي متطلبات الحياة.

من خلال الملاحظة التي قمنا بها خلال زياراتنا لأغلب قرى اللاذقية الجبلية، اكتشفنا أن آلية تكوين هذه القرى كانت واحدة. ولفهم ذلك نذكر حالة إحدى القرى في ريف القرداحة كمثال، وهو ما يمكن أن يوضح هذه الآلية الاجتماعية الحضرية:

يعرض هذا المثال التطور الحضري للقرية ابتداءً من سكن الجيل الأول المتقوقع على نفسه إلى سكن الجيل الثالث على طول الطرق، ويناقش تحول القرى إلى (قرية شارع) تتناثر منازلها على المستوى الاجتماعي والحضري، على طول الشوارع بدلاً من تجمّعها حول منازل الآباء والأجداد, وقد تزامن هذا التطور مع توالي ثلاثة أجيال على القرية وهم:

A. <u>الجيل الأول (مرحلة التأسيس):</u>

سكن القرية في بداية تأسيسها ثلاثة إخوة: "إسماعيل وعزيز وسليمان", الذين اشتروا أرض هذه القرية بثمن بخس من أحد الإقطاعيين الذي يمتلك العديد من الأراضي في هذا الجزء من الجبل.

بنى الإخوة بيوتهم الثلاثة المتجاورة بالحجر والتراب من أجل ضمان الأمن (ضد السرقة)، ولمساعدة بعضهم البعض في العمل في الأرض وفي ترميم المنازل، بالإضافة إلى عوامل أخرى كثيرة. كماهو مبين في الشكل(7)

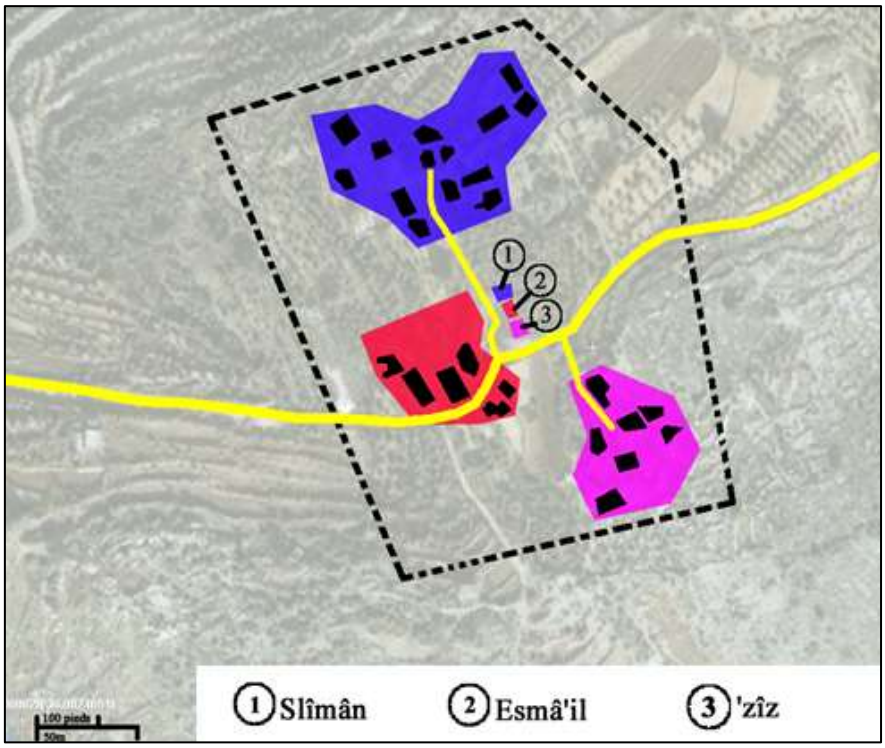

الشكل (7) توزع بيوت الجيل الأول في القرية المدروسة (إعداد الباحث)

B. **<u>الجيل الثاني (مرحلة التحول الأولى):</u>**

في الستينيات، ضمن الاستراتيجية التي انتهجتها الدولة في إزالة الحواجز (الاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها) بين الريف والمدينة، شجع الإخوة الثلاثة أطفالهم «الجيل الثاني» للذهاب إلى المدينة للبحث عن عمل

وبالتالي الهروب من الفقر الذي يعيشونه في هذه القرى, وبالفعل بدأ أبناء الجيل الثاني هجرتهم إلى مراكز المدن (دمشق، اللاذقية، جبلة) وحتى إلى لبنان للعمل في الزراعة أو البناء.

بمجرد استقرار الوضع المالي للأولاد عادوا مباشرة لبناء منازل لهم بالقرب من والديهم وعلى الأراضي الموروثة لهم. بل إن هذه الموجة وصلت إلى المهاجرين في دمشق أو لبنان الذين بنوا بيوتاً أيضاً في قراهم وهم ما زالوا يقيمون في أماكن الهجرة، لأنهم و بشكل أوتوماتيكي ينوون العودة إلى قراهم فور انتهاء مدة عملهم في مدن الاستقبال و حصولهم على تقاعدهم المستقبلي.

بين ذلك حقيقة أن الجيل الثاني بقي محتفظاً بعقلية القرية التي نشأ عليها ومؤمناً بقيمة الأرض على الرغم من ضعف خبرته في المجال الزراعي. على الأقل هذا ما توصلنا إليه بعد تحقيقاتنا مع العديد من أعضاء الجيل الثاني. يبين الشكل (8) موقع بيوت الجيل الثاني بجوار آبائهم وإخوانهم وأرضهم.

C. <u>الجيل الثالث (مرحلة التحول الثانية: قرى الشوارع):</u>

أثناء إقامة الأبناء (الجيل الثاني) في أماكن الهجرة أصبح لهم عائلات مستقرة فيها، نشأ أبناءهم في مناطق الهجرة مكونين الجيل الثالث. هذا الجيل الذي لم يولد أفراده ولم يعيشوا أبداً في القرية بل نشئوا وتربوا داخل مجتمع المدينة، ولهذا لم تمثل الأرض ولا العادات والتقاليد (خاصة التقاليد الدينية) لهم شيئاً. لذلك ظهرت فجوة واضحة جداً بين هذا الجيل وجيل آبائهم وأجدادهم. يمكن تقسيم الجيل الثالث إلى فئتين أساسيتين، حسب أماكن إقامتهم وبناء منازلهم:

–الفئة الأولى: فضلت البقاء في المدينة وشراء منزل لتستقر فيه مع عائلتها. حيث يذهب أفراد هذه الفئة إلى القرية لقضاء إجازاتهم الصيفية مع والديهم وقد قام البعض ببناء منزل بسيط يفي بهذا الغرض.

–الفئة الثانية: التي لم تملك القدرة على تملك منزل في المدينة (بسبب الارتفاع المبالغ فيه في أسعار العقارات)، وفي نفس الوقت امتلكت أرضاً ورثتها عن والدها، قرر أفراد هذه الفئة العودة إلى قريتهم لبناء منزل على الأرض التي تركت لهم. وفضلوا أن يفعلوا ذلك بعيدًا قدر الإمكان عن بيوت الآباء والأجداد، حتى لا يخضعوا لعقليتهم. اختارت هذه الفئة موقعاً قريباً جداً من الطرق الإسفلتية، وخاصة الطرق الرئيسية، للاستفادة من الخدمات (النقل) والتنقل بسهولة بين القرية ومركز المدينة حيث تعمل، مع الحفاظ على شعور العيش في المدينة مع كل هذه الخدمات كما هو موضح بالشكل(8).

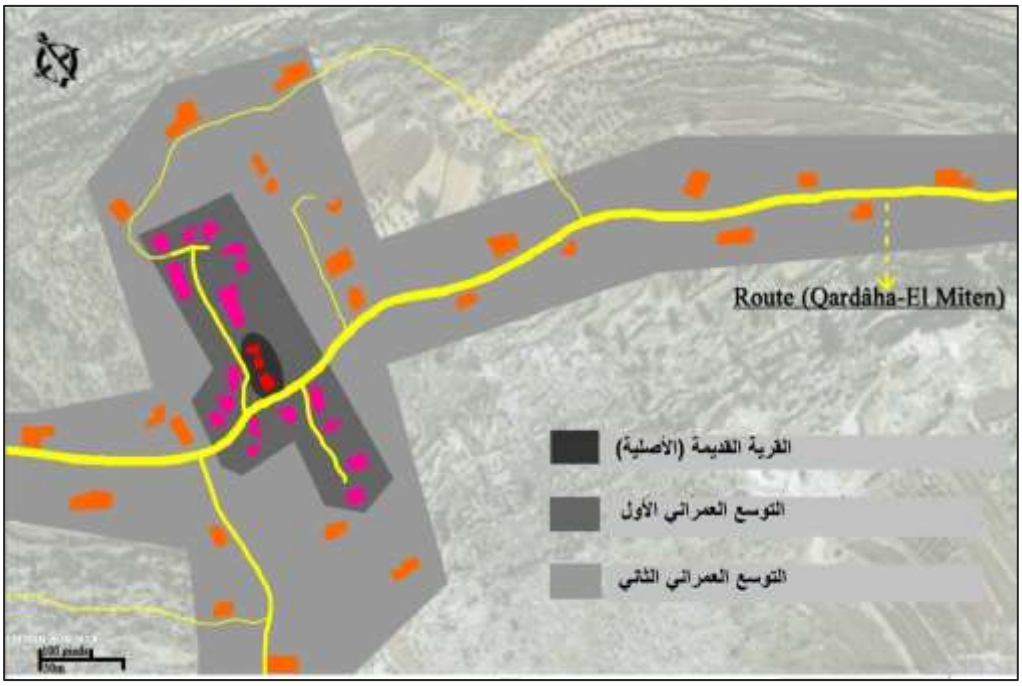

الشكل (8) توزع بيوت الجيل الثاني والثالث في القرية المدروسة (إعداد الباحث)

٦. الاستنتاجات والتوصيات:

6-1: نتائج البحث:

- بين البحث التغير المورفولوجي–الاجتماعي في القرى بين الماضي والحاضر, حيث أنه في السابق تميز المجتمع التقليدي القروي بأسلوب حياة خاص بمنطقته، وكانت مساحته الجبلية تحددها أساليب الإنتاج والتماسك القوي للروابط الاجتماعية, بينما في الوقت الحاضر بعد أن أدى التشتت الاجتماعي–المكاني إلى عواقب وخيمة أثر بشكل متزايد على الاقتصاد المحلي والبيئة الطبيعية والاجتماعية وعلى التراث المبني مما أدى إلى تغيرٍ جذريٍ في هذه القرى.
- بين البحث أثر عودة المهاجرين على الهوية الريفية: حيث أدت عودة المهاجرين العائدين إلى نقل أنماط الحياة الحضرية دون نجاحهم في الحفاظ على الروابط الاجتماعية الخاصة بنمط الحياة القروية, خصوصاً أنهم وجدوا في هذا النمط الجديد لحضريتهم شكل من أشكال الحداثة و وسيلة للحصول على مكانة اجتماعية معتبرة وهذا بالنتيجة أدى إلى فقدان معين للهوية الريفية [10] .
- أظهر البحث آثر عودة المهاجرين الأثرياء بعد جمعهم الأموال والتكيف مع خصوصيات التحضر، على إحداث تحول في الريف على جميع المستويات. إذ شهدت المجتمعات القروية في جبال اللاذقية، بالنسبة للبعض، إعادة توطين المهاجرين الأثرياء، الذين سعوا بسرعة إلى إدخال عناصر التحضر إلى مناطقهم الريفية. في الجانب آخر، إن التغييرات التي جلبها المهاجرون العائدون إلى قراهم بشكل رئيسي لها جوانب سلبية ولكنها إيجابية أيضًا. في الواقع، يمكن للمهاجرين العائدين أن يكونوا جهات فاعلة في تنمية القرى بمزايا مختلفة. إن استخدام التقنيات الحضرية والموارد المحلية والدراية التي أحضرها المهاجرون العائدون

إلى القرى يمكن أن يسير في اتجاه الاستدامة. ويمكن أن يكون له دور كبير في تطوير القرى المدروسة، خاصة على المستوى الاقتصادي[10].

- الأسباب الرئيسية للتحولات المعمارية والحضرية هي، من ناحية غياب لوائح التخطيط الحضري الخاصة بالمناطق الجبلية، ومن ناحية أخرى ضعف و قلة دراسات المسح الاجتماعي من قبل أخصائيي حراك العائلات المشكلة لهذه القرى: إذ أن التطور الحالي لهياكل القرى يكشف عن مواجهة بين القرى التقليدية ذات الكثافة السكانية العالية والتي أصبحت في حالة هجر، مما يقدم صورة مهينة للهندسة المعمارية التقليدية والأشكال الجديدة من السكن التي فقدت أيضًا حدودها ومعاييرها. في الواقع، يؤدي هذا الأخير إلى هندسة معمارية تنفصل عن السياق المحلي، وانقطاع في البيئة المبنية دون تمفصل مع القرية التقليدية أو مع الهياكل الجديدة، أي أن التشكيل المكاني لهذه القرى اتخذ المنحى الخطي (على مستوى التنظيم المكاني و أيضاً على مستوى العلاقات الاجتماعية) على طول طرق الاتصال بين القرى أو على الطرق الرئيسية التي تربط هذه القرى بمركز المنطقة أو الناحية أو حتى بمراكز المدن.

ولكن دعونا نتذكر أن التغيرات الاجتماعية التي تؤثر على هذه القرى تمثل التغيير الرئيسي. إن العلاقة الاجتماعية التي كانت قائمة في قرى اللاذقية الجبلية كانت بالفعل من النوع المجتمعي البطريركي، لدرجة أن هذه القرى كانت في البداية مكونة من عائلات قليلة فقط. وحافظ هؤلاء على علاقات قوية بينهم مثل الزواج داخل المجتمع القروي، والاحتفالات الجماعية، والظروف المعيشية الصعبة التي تعيشها المنطقة والتي تشجع على العيش الجماعي، بينما مع عودة المهاجرين، تبدد هذا التماسك الاجتماعي[11].

6-2: التوصيات:

- الأخذ بعين الاعتبار التغيرات الحقيقية التي طرأت على القرى الجبلية و دراسة خصوصيتها أثناء إعداد المخططات التنظيمية لهذه القرى من خلال الالتزام بتحليل الوقائع الاجتماعية بكافة أشكالها و "بالظاهرة الاجتماعية الكلية" بحسب تعبير مارسل موس Marcel Mauss [5].
- تفعيل دور البلديات و الجهات الفاعلة المحلية في الحفاظ على خصوصية هذه القرى من خلال مواكبة احتياجات الأجيال الجديدة بالشكل الذي لا يؤثر على المكون المورفولوجي الاجتماعي المميز لهوية هذه القرى.
- حراك الأجيال: كونه النقطة المفصلية في تحول القرى الجبلية، وفي إعادة تركيب بنية المجتمع تحت تأثير التنقلات اليومية باتجاه المدن وعودة الموظفين المتقاعدين من المدن الكبرى والتحولات المالية للمغتربين في لبنان، إلا أنه يمكن توجيه هذا الحراك باتجاه التطور الاجتماعي – المكاني لهذه المنطقة الجبلية من خلال توجيه هذه الفئات العمرية باتجاه الاستثمار (السياحي– الزراعي...الخ) و الاستفادة من الإمكانيات الطبيعية و الموروث الثقافي الاجتماعي الخاص بكل قرية من هذه القرى.
- التأكيد على مصداقية المسوحات الميدانية الدورية للتطورات التخطيطية لهذه القرى و دراستها و تبويبها لوضع "معايير مرنة" تواكب التطورات في أنماط حياة سكان هذه القرى من جهة و من جهة أخرى تحافظ على خصوصيتهم الاجتماعية.
- تشجيع المشاريع الزراعية– الاستثمارية الصغيرة و تمويلها من قبل الجهات المعنية بهدف تثبيت حالة الاستقرار المكاني لسكان هذه القرى (خصوصاً الفئات الفتية منها).

– البحث في أساسيات المجتمع القروي (فك التركيبة المعقدة لهذا المجتمع ولعملياته الاقتصادية) و التمييز بينه و بين المجتمع الريفي (من حيث الركائز و العناصر) و عكس ذلك على البنية العمرانية الخاصة بهذه القرى [12].

– إقامة مشاريع حيوية معرفية (ايكولوجية) تؤكد على الإرث و الذاكرة المكانية الخاصة بهذه القرى من جهة و تشكل نقطة جذب سياحية لهذه القرى من جهة أخرى.

References:

[1] LAVERGNE,M. "*L'urbanisation contemporaine en Syrie du Nord*", *REMMM.*, p. 195 – 207, 1991.

[2] LEVY,J. "*Oser le désert ?, des pays sans paysan*" , *Les nouveaux espaces ruraux*, Sciences Humaines,hors série, 1994.

[3] ZAYNA,F, "*La rurbanisation et la mutation socio-spatiale en Syrie:le développement des villages de montagne dans l'arrière pays de Lattaquié* ", thèse de doctorat, Université d'Aix-Marseille, France, 2014, p 285-286.

[4] BRUNET,R ; FERRAS,R ;THERY,H."*Les mots de la Géographie*", Reclus – La Documentation française, France, 1997.

[5] MAUSS,M." *Manuel d'ethnographie*", Payot , France, Genève, 1947.

[6] INRA," *LES FRANÇAIS ET L'ESPACE RURAL, Perceptions communes et pratiques différenciées* ", par PERRIER-CORNET Philippe, 2002.

[7] JARJOUR,T."*Migration from the Rural to the Cities in the Syrian Arab Country*", Ministry of Culture and National Guidance - Damascus (Syria), 1980.

[8] KHAWAJA,M."*Internal migration in Syria: Findings from a national survey".* Oslo, Fafo-report Nº375, Institut des études internationales appliquées,2002.

[9] TABAR,P ;RASSI,R. "*Labor Mobility Between Countries in the Arab World (Syrian Migrant Workers in Lebanon)*",the International Organization for Migration,2009.

[10] SAMI KAMEL,M."*The Changing Relationship between Rural and Urban*", Arab Regional Conference "The Interconnection between Rural and Urban", Egypt,2005.

[11] KHALIL,A."*Latakia at the beginning of the twentieth century/a social study* " ,Syria, 2007.

[12] AL-HUSSEINI,S"*The City: A Study in Urban Sociology, Chapter Nine, "Rural Exodus and Urban Growth: Migration and Adaptation*", Dar Al-Maaref, Egypt,1981.